﴿المحاضرة - 13 - الثالثة عشرة﴾

الأدب الجزائري في عهد الدولة العثمانية

عناصر الدرس

أولا؛ تاريخ الدولة العثمانية في الجزائر
ثانيا؛ المراكز الثقافية في العهد العثماني بالجزائر
ثالثا؛ ظواهر بارزة في الأدب الجزائري خلال العهد العثماني
رابعا؛ أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة العثمانية، ومختارات من أدبهم
خامسا؛ الأدب الجزائري خلال العهد العثماني خصائصه تطوره وأثره

أولا؛ تاريخ الدولة العثمانية في الجزائر:

أصبحت الجزائر عاصمة للولايات العثمانية في شمالي إفريقيا، بعد انضواء كل من تونس وطرابلس الغرب تحت لواء السلطنة العثمانية. فكان ممثل الدولة فيها يحمل لقب بيلرباي أي) رئيس البايات)، لكن هذا الإشراف لم يدم طويلاً. على أن تبعية ولاية الجزائر وغيرها من ولايات لم يقف عند حد الإدارة المحلية، بل تجاوز ذلك إلى التحكم في اختيار الولاة. فقد شهدت الجزائر تغيرات عدة في نظام الحكم، بحيث يمكن تمييز أربع مراحل هي: عهد النيابة (922 977ه، 1516 1588م) حكم فيه البيلربايات فسيطروا على جند الانكشارية والبحرية، عهد الباشوات 997) 1070ه، 1588 1659م) أصبحت فيه الجزائر ولاية عادية، وفقد الباشوات السيطرة على الانكشارية، فانتقلت السلطة الفعلية إليهم في عهد حكم الأوجاق وهو المجلس الأعلى للجند (1070 1082 ه، 1659 1672م)، وقد انتشرت الفوضى مما جعل رؤساء البحر يضعون حدًا لسيطرة الانكشارية فبدأ عهد الدايات (1082 1246ه، 1672 1830م). وقد كانت الخلافة العثمانية تصادق على جميع هذه التغييرات، وظلت مستمرة على إرسال الباشوات الذين يمثلونها في الجزائر، حتى قرر علي داي سنة 1122ه، 1710م إخراج الباشا من البلاد، ومنذ ذلك الوقت حمل الدايات لقب الباشا مع لقب الداي[1].

ثانيا؛ المراكز الثقافية في العهد العثماني بالجزائر:

1- الكتاب: هو أكثر مراكز التعليم انتشارا في ذلك العهد، "إذ أقبل عليه الناس في مختلف البلدان التي خضعت للحكم العثماني، وقد وصف بأنه عبارة عن حجرة مفروشة بحصر بالية"[2]. وتقدم فيه للصغار مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم كله أو جزء منه. إضافة إلى بعض مبادئ الفقه، "فإذا ختم الطالب القرآن أقام له ذووه احتفالا، يحضره شيخ الكتاب الذي يتلقى ما تيسر له من مال أو هدايا"[3].

2- المدرسة: كان إنشاء المدارس على أيدي المحسنين، وكانت المدارس المختلفة تمول بالأوقاف المختلفة التي يحبسها أصحاب النفوس الخيرة، وتسعى إلى وهب ربع عقاراتها

---

[1] - قرص الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق مادة: الدولة العثمانية في الجزائر.
[2] - سامي يوسف أبو زيد، الأدب العثماني، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2013م، ص57.
[3] - نفسه، ص57.

لبناء المدارس، وغيرها من المشاريع التي تدعم التعليم بشتى أنواعه، ولم يكن للدولة شأن بها سوى تخصيص بعض مناصب لنفر من العلماء"[1].

3- المساجد والزوايا: كانت تخصص بعض أموال الأوقاف لبناء المساجد والزوايا، والتي لم تكن مخصصة لأداء الشعائر الدينية فقط، بل وظفت لتعليم القرآن. ومن اهم المظاهر التي كانت تميز هذه الفترة هي تحرير التعليم من سيطرة الدولة، وسيطرة الحاكم العثماني، ولا يمكن تجاهله هو أن "الترك لم يتحضروا في أو أمرهم، ولم تكن لهم الثقافة التي اكتسبتها الجزائر من قبلها. ذلك أن خير الدين قد وجدها في أرقى عصورها.

ثالثا؛ ظواهر بارزة في الأدب الجزائري خلال العهد العثماني[2]:

1- كثرة العوائق: إن معرقلات نمو اللغة وانتشار الأدب كانت أقوى من المشجعات، فالولاة كانوا لا يفقهون اللغة العربية ولا يتذوقون أدبها، يضاف غلى ذلك أن الفئة المثقفة قد انحسر نشاطها في بعض الوظائف التي لا علاقة لها باللغة والأدب، وقد أدى موقف الولاة، ومنافسة اللغات واللهجات، وشيوع الجهل، وضعف المستوى الثقافي، وجمود الوظيفة، وهجرة أصحاب المواهب إلى شيوع اللحن على ألسنة الكتاب والمدرسين، حتى من الذين لا يتوقع منهم لكثرة تآليفهم، أمثال أبي راس الناصر، وقد تحدث هو عن هذه الظاهرة في الإنتاج، كما تحدث عنها أحمد سحنون الراشدي الورتلاني.

2- شيوع اللحن: وشاع الخطأ خصوصا في الشعر، حيث كثر ما يسمى بالشعر الملحون، والشعر الفصيح المكسور، وكان اللجوء أحيانا إلى الشعر الملحون أو الشعبي يبرره التلغيز الذي قصده الشاعر ليغطي هجومه على الأوضاع السياسية والأخلاقية، وكان بعض الشعراء يتبسطون لكي يسهل على العامة فهم مرادهم، وقد احتج أبو راس في شرح العقيقة بأن محمد الهواري كان يلحن في كتاباته، وأن المنداسي قد كتب بالملحون، ولم يكن عاجزا عن الإعراب، وإنما نظم العقيقة بالشعر الملحون لتسهل للعوام كما تسهل للخواص[3].

3- الشروح الأدبية: وهي أن الأدباء بدل أن يخترعوا القصص والروايات، أو يؤلفوا في الظواهر الثقافية والنقد، عمدوا غلى الأعمال الجاهزة بشرحها، وذلك الشرح قد يكون على قصيدة نظمها الشاعر نفسه، وقد يكون على قصيدة أو عمل آخر لغيره، وقد حفل الإنتاج الأدبي بالنوعين كليهما. من أمثلة ذلك قصيدة العقيقة لسعيد المنداسي التي شرحها أبو راس الناصر وأحمد بن سحنون الراشدي. وشرح لامية العجم لمحمد بن أحمد بن قاسم البوني. وشروح المواعظ والحكم والحلل الحريرية لأبي راس الناصر. وشرح شواهد ابن يعلى النحوية لعبد الكريم الفكون. وقد برزت في تلك الشروح نية خدمة الأدب واللغة، وإظهار البراعة والحفظ والذوق الفني.

---

[1] - سامي يوسف أبو زيد، الأدب العثماني، ص57.

[2] - ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر (20/16 م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج2، ص237 – 298.

[3] - نفسه، ج2، ص171.

4- التقاريظ[1]: والإجازات والعقود: هي من أشكال النثر الجزائري القديم، التي يجمع فيها بين النثر والشعر. ففي التقاريظ تسيطر الروح الإخوانية على الأسلوب، وتبرز ثقافة المقرظ اللغوية والأدبية، ومثالها: تقريظ أحم بن عمار على كتاب الدرر على المختصر لصاحبه عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري. أما الإجازات فهي بمثابة شهادة علمية في زماننا، غير أنها طويلة جدا، وفيها يتناول السند وسرد أسماء الشيوخ ومواد الدراسة، وأسلوب الإجازة أقرب إلى الأدبي، ومن أمثلتها إجازة المنجلاتي إلى تلميذه الرحالة ابن زاكور. وفي باب العقود، - خاصة عقود الزواج – فإنهم كانوا يتفننون في كتابتها، ويظهرون فيها براعتهم اللغوية والأدبية والأسلوبية، وقد كان بعض القضاة أنفسهم أدباء، ومن أمثلته: عقد الزواج الذي أنشأه محمد بن عبد المؤمن في خمس صفحات، وأورده في رحلته ابن حمادوش.

5- الرسائل: لا يكاد يخلو عصر من عصور الأدب من الرسائل بنوعيها (الإخوانية والديوانية)، وكان منهم المق ومنهم المكثر في الرسائل، فعبد الكريم الفكون على سبيل المثال كان مكثرا، لأنه عالم معروف في الداخل والخارج، وله علاقات كثيرة بالعلماء والوجهاء.

6- الوصف: وهناك لون آخر من ألوان النثر، يتمثل في وصف الطبيعة والعمران والقوافقل والحيوانات وحتى المشاعر الإنسانية، سواء أكان ذلك عند الإزماع على الحج، أو في الرحلة، أو في الغربة، أو عند النبات والمصائب. ومن أبرز من عالج هذا الموضوع أحمد بن حين أزمع على الحج سنة 1166 ه؛ فقال: "لما دعتني الأشواق، النافقة الأسواق، إلى مشاهدة الآثار، والأخر من الراحة بالثار، وأن أهجر الأهل والوطن، واضرب في عراض البيد بعطن، وأن اخلع على السالين الساكنين الكرى، وأمتطي ظهر السهر والسرى، لبيت داعيها، وأعطيت كريم النفس ساعيها.."

7- الخطابة: عرف الجزائريون الخطابة يوم كان ساستهم يتحدثون لغة المواطنين ويحذقونها، وعندما كان علماؤهم متمكنين من قواعد اللغة، ولكن مع مجيء العثمانيين، انحصرت الخطابة في ميدان واحد تقريبا، ألا وعم المسجد، ذلك أن الساسة غرباء عن البلاد وعن أهلها وعن لغتهم، ولغة التواصل بين الحاكم والرعية هما اثنان: الجندي بقسوته والمرابط بحكمته، وكلاهما له أسلوبه لخطاب الرعية، وإرجاعها إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه. واشتهر من الخطباء سعيد قدورة وسعيد المقري وأحمد المقري وعبد الكريم الفكون وأحمد بن عمار وأحمد بن مهنا القسنطيني.

8- القصص والمقامات: لم يعرف الجزائريون فن القصص الفصيحة المكتوبة، وقد أثر عنهم حكايات شعبية وحكويين، يروون ما توارثوه من حكايات شعبية في المجالس العائلية، وفي الأسواق.. أما المقامات فكان ظهورها في الجزائر على يد محمد بن ميمون في وصف

---

[1] - معنى قَرَظَ في المعجم الوسيط القَرَظَ قَرْظاً جناه وجمعه. يقال: خرج يقرِظ. و الجِلدَ: دبغه بالقرظ. ويقال: قرظ السقاء ونحوه،(قَرِظَ) فلانٌ قَرَظاً: ساد بعد هوان.(قَرَّظَ) فلاناً: مدحه وأثنى عليه. و الكتابَ: وصف محاسنه ومزاياه. (تَقَارَظَا) المَدْح: مدح كل واحد منها صاحبه. يقال: هما يتقارظان: يتمادحان.(القَارِظ): الذي يجمع القرظ. ومن أمثالهم: (لا يكون ذلك حتى يؤوب القارظان): أي لا يكون أبداً.(القَرَّاظ): بائع القَرَظ.(القَرَظ): شجر عظام لها سُوق غِلاظ أمثال شجر الجَوز، وهي من الفصيلة القرنية، وهي نوع من أنواع السَّنْط العربي، يستخرج منه صمغ مشهور. واحدته: قرظة.(القَرَظَة): ثمرة قرنية مُتَخَصِّرة بين البذور ومنضغطة كثمرة السنط. (مج).(القَرَظِيّ): أديم قَرَظِيّ: مدبوغ بالقرظ.

سيرة محمد بكداش، وقد سماها (التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية)، وقد قسمها إلى 16 مقامة، وجعل كل مقامة عبارة عن فصل من حياة الباشا محمد بكداش. ونذكر بعده مقامة لأحمد البوني هي أقرب إلى التقليدية (إعلام الأحبار بغرائب الأخبار)، وموضوعها علاقة العلماء بالسلطة، والاستنجاد بصديقه مصطفى العنابي. وفي رحلة ابن حمادوش نجد ثلاث مقامات كتبها في المغرب هي أنضج من سابقاتها.

9- الشعر الديني: وقد كان أهم الأغراض التي طرقها الشعراء، ولا سيما مدح الرسول ﷺ والتشوق إلى زيارة قبره، وإحياء مولده. ويشمل ذلك أيضا الشعر الصوفي، والتوجه إلى الله بالدعاء والتبتل، ومدح الأولياء والصالحين ورثاؤهم، ونحو ذلك. ومن أشهر ما قيل قصيدة في مدح المدينة المنورة قصيدة عبد الله بن عمر البسكري.

10- الشعر السياسي: ارتبط الشعر السياسي في مناسبات محدودة، تمثلت في شعر الجهاد ضد الإسبان، ومدح بعض الأمراء طمعا في التكسب. قاله الشاعر أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن[1] محرضا الداي بابا حسن الشريف (1681 - 1683م) على تحرير وهران، في مشهد يكشف صورة المدينة وهي محتلة[2]:

نَادَتْكَ وَهْ □رَانُ فَلَبِّ نِ □دَاهَا ... وَانْزِلْ بِهَا لاَ تَقْصِدَنَّ سِوَاهَا
وَاحْلُلْ بِهَاتِيكِ الأَبَاطِحِ والرُّبَى ... وَاسْتَصْرِخَنَّ دَفِينَهَا الأَوَّاهَا
قَدْ طَالَمَا عَبِثَتْ بِهَا أَيْدِي الْعِدَا ... حَتَّى اسْتَبَاحُوا أَرْضَهَا وحِمَاهَا/
وَتَصَرَّفُوا فِي الْمُسْلِمِينَ بِمَا غَدَا ... أَعْجُوبَةً لِمَنِ اغْتَدَى يَرْعَاهَا
أَضْحَى الصَّلِيبُ مُؤَيَّدًا وَالدِّينُ قَدْ ... دُرِسَتْ مَعَالِمُهُ فَلَسْتَ تَرَاهَا
جَعَلُوا بِهَا النَّاقُوسَ فِي أَوْقَاتِهِمْ ... بَدَلَ الأَذَانِ وغَيَّرُوا مَعْنَاهَا
كَمْ مِنْ أَسِيرٍ حَوْلَهَا لاَ يُفْتَدَى كَمْ ... مِنْ فَقِيرٍ حَلَّ فِي مَثْوَاهَا/
كَمْ مِنْ نِسَا مَعْ صِبْيَةٍ أَسْرَى بِهَا ... أَسْرَى بِهِمْ مَنْ لَيْسَ يَدْرِي اللهَ

11- الشعر الاجتماعي: من اغراض الشعر الاجتماعي في الأدب الجزائري خلال العهد العثماني الرسائل الأدبية وشعر الرثاء والمدح لغير الأمراء ورجال الدين. ومن أغراض الشعر الاجتماعي شعر المجون: وقد اشتهر به محمد بن راس العين، ومن ذلك قوله في الرد على من حرّم التبغ من الفقهاء:

اسقنيها تباغة تجلا ... في حلى السبسي
شربها في الدجى مع الإخوان ... جالب الأنس
لا تعطل شرابها يا صاح ... فهي عندي حلال
شمعها يغني عن الصباح ... في ظلام الليال
شربها ليس يفسد العقل ... لذوي الحس

[1]- محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري (ت1101هـ = 1690م)
[2]- محمد ابن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص301 – 302.

كـــل مـــن ذم شـــربها جـــلا فهـــــو فـــــي بخـــــس

12- غرض الغزل: فنادر لغياب المرأة من الحضور في الحياة العامة والأسواق، إلا لقضاء مصلحة برفقة محرم. ومن الشعراء من ضمنه مطالع قصائده المولدية، وكثيرا ما يتغزل بامرأة متخيلة، لا حقيقة لها في أرض الواقع، ولربما كانت زوجته..

13- غرض الإلغاز: كثيرا ما كان يتوارد الإلغاز بين الشعراء، للتخفيف من عبء الحياة، واختبارا للذكاء، وتنشيطا للذهن.، فهذا ابن ميمون[1] يطلع ابن حمادوش[2] على لغز نصه[3]:

يَـــا سَـــيِّدًا وَلَـــهُ فِـــي الْعِلْـــمِ مَنْزِلَـــةٌ لَـــمْ يَحُـــزْ مثْلَهَـــا فِـــي عَصْـــرِهِ أَحَـــدُ
قَـــدْ جِئْـــتُ مُسْتَرْشِـــدًا فِـــي مَسْـــأَلَةٍ فَـــامْنُنْ بهَـــا لَا انْثَنَـــى عَـــنْ قَصْـــدِكَ الرُّشْـــدُ
مَـــا اسْـــمُ حُـــرُوفٍ ثَـــلاثٍ هُـــنَّ جُمْلَتُـــهُ وَكُـــلُّ حَـــرْفٍ لَـــهُ فِـــي نَفْسِـــهِ عَـــدَدُ
فَـــإِنْ أَضَـــفْتَ لِمَصْـــدَرٍ مِنْـــهُ جُمْلَتَـــهُ سَـــاوَاهُ ثَانِيَـــةً فِـــي الْحَـــدِّ الَّـــذِي يَـــرِدُ
يَرْجِعَـــانِ مَعًـــا خَمْسًـــا إِلَـــى رَبْـــعٍ مِـــنَ الْأَخِيـــرِ الَّـــذِي مَـــا بَعْـــدَهُ أَمَـــدُ
فَـــإِن زِدْه ضَـــمِيرَ الْجَمْـــعِ فَاسْـــمُ أَبٍ لَـــهُ وَفِـــي كُـــلِّ عَصْـــرٍ مُجْبـــرًا يَلِـــدُ
وَإِنْ تَـــزِدْ حَـــرْفَ تَأْنِيـــثٍ عَلَـــى اسْـــمِ أَبٍ أَتَـــى بِـــأُمِّ أَبٍ يُعْـــزَى لَهَـــا الْوَلَـــدُ
وَكُلُّهُـــمْ فِـــي كِتَـــابِ اللهِ قَـــدْ ذُكِـــرُوا عَلَـــى وُضُـــوحٍ مِـــنَ التَّصْـــرِيحِ قَـــدْ وَرَدُوا
وَإِنْ تُصَـــحِّفْهُ أَعْنِـــي النَّجْـــلَ، مُنْفَـــرِدًا مُـــدَّةً مِـــنَ الشَّـــكِّ فِـــي عَـــيْنِ الْيَقِـــينِ يَـــدُ
وَإِنْ تُصَـــحِّفْهُ بَعْـــدَ الْقَلْـــبِ بَـــانَ لَنَـــا مِـــنِ اسْـــمِهِ الـــذَّهَبُ الإِبْرِيـــزُ يَتَّقِـــدُ
فَخُـــذْ وَقَـــاكَ إِلَـــهُ الْعَـــرْشِ كُـــلَّ أَذَى بِشَـــرْحِهِ أَنْـــتَ لِلإِفْضَـــالِ مُسْـــتَنَدُ

ومن الشعر الاجتماعي – أيضا – ذلك **المدح** المتبادل بين الطلبة ومشايخهم، ومن تلك النماذج ما أرسله القادري المغربي إلى أستاذه محمد بن أحمد القسنطيني المعروف بالكماد.

إلـــى العـــالم النحريـــر والحجـــة التـــي روى فضـــلها عـــز الســـراة الجمـــاهر
ألســـت الـــذي إن عـــز فـــي العلـــم مشـــكل تلقـــاه فهـــم منـــك فـــي زي بـــاتر

فأجابه شيخه الكماد بقصيدة هذا مطلعها:

خليلـــي عـــج بالركـــب عـــن أم عـــامر وعـــرج علـــى كثبـــان نجـــد وحـــاجر

ومن الشعر الاجتماعي **تقريظ الكتب**، ومن شواهده تقريظ ابن عمار لكتاب حمدو بن عبد العزيز التونسي، الذي أجاب فيه عن أسئلة علماء قسنطينة، وفي تلك المناسبة قال ابن عمار في تقريظه:

---

[1]- "هو أبو عبد الله محمد بن ميمون الجزائري؛ من العهد العثماني؛ عاصر الداي محمد بكداش(ت1122ه)؛ أشهر آثاره: التحفة الرضية"

- ينظر: ابن ميمون الجزائري محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ص11-12.

[2]- " هو عبد الرزاق بن محمد، المعروف بابن حمادوش الجزائري؛ رحالة وكاتب وشاعر جزائري؛ ولد في مدينة الجزائر سنة (1107ه/1695م)؛ وتوفي بها حوالي تسعين سنة؛ من أشهر آثاره رحلته"

- عبد الرزاق بن حمادوش، رحلة ابن حمادوش الجزائري، تحقيق أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية، الجزائر، دط، 1983، ص9.

[3]- نفسه، ص162-163.

شـــمس تجلـــت فمـــا أســـنى تجليهـــا لاحـــت علـــى غـــرة الـــدنيا تحليهـــا
أبـــدت مطالعهـــا أســـنى طوالعهـــا مـــن أيـــن للشـــمس تجلـــى فـــي مجاليهـــا

ويضاف إلى الشعر الاجتماعي غرض الرثاء، وهو أكثر ما يكون بين الطلبة ومشايخهم، ومن النادر ان نجد رثاء للحاكم إلا قليلا، ولعل ذلك يدل على العلاقة السيئة بين الحاكم والمحكوم. ومما يذكر في رثاء الطالب لشيخه، رثء سعيد قدورة لشيخه محمد بن علي الذي قتل مطعونا[1]:

مصـــاب جســـيم كـــاد يصـــمي مقـــاتلي ورزء عظـــيم قـــاطع للمفاصـــل
لمنزلـــه كانـــت تشـــد رحالنـــا فمـــن راكـــب يعـــى إليهـــا وراجـــل

ونجد في الأدب الجزائري القديم في العهد العثماني كذلك شعر وصف المنشآت العمرانية، كالمساجد والمدارس خاصة. وهذا ابن ميمون يصف مدرسة بناها الباي محمد الكبير[2]:

انظـــــر رعـــــاك إلـــــه الخلـــــق واعتبـــــر
لمســـــجد رائـــــق قـــــد لاح للبشـــــر
متـــــوج بالبهـــــا بالحســـــن مشـــــتمل
بـــــالظرف مـــــؤتزر بـــــاللطف مشـــــتهر
ســـــماحة مزجـــــت بالأصـــــل وامتزجـــــت
بـــــالعلو والســـــفل والأركـــــان والجـــــدر
إن حلـــــه المـــــرء حـــــل الأنـــــس مهجتـــــه
وصـــــار فـــــي الحـــــين للأذكـــــار ذا بطـــــر
لـــــو أخبـــــر الله أن الخلـــــد يبـــــدو لنـــــا
حتـــــى نشـــــاهده فـــــي الأرض بالبصـــــر
لقلـــــت ذي جنـــــة للخلـــــد قـــــد ظهـــــرت
يحظـــــى بهـــــا عـــــامِلو الخيـــــرات بـــــالأجر
وانظـــــر لمنبـــــره المســـــود تحســـــبه
لـــــيلا وفيـــــه نجـــــوم العـــــاج كـــــالزهر
وانظـــــر لمحرابـــــه الأبهـــــى وتشـــــييده
تـــــرى بعينـــــك مـــــا يكفيـــــك عـــــن خبـــــر
وانظـــــر لقبتـــــه العليـــــاء تحســـــبها
عقيلـــــة فـــــوق كرســـــي مـــــن الحجـــــر
أو هالـــــة البـــــدر بـــــل أنـــــوار بهجتهـــــا
تفـــــوق بهجـــــة حســـــن الشـــــمس والقمـــــر
كأنهـــــا جعلـــــت تاجـــــا لمســـــجدها الـــــب
اهـــــي الجميـــــل العلـــــي الأحســـــن النظـــــر

[1] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص280.
[2] - أحمد بن محمد الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013م، ص137.

لكـــــي يـــــزاد بهـــــا حســـــنا فزيـــــد بهـــــا
كـــــل الجمـــــال مزيـــــد العقـــــد بالـــــدرر

رابعا؛ أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة العثمانية، ومختارات من أدبهم:

- **عبد الله بن عمر البسكري**: عبد الله بن عمرَان بن موسي البسكري المغربي قَالَ القطب الْحلَبِي كَانَ رجلا صَالحا متواضعاً مَقْصُود الزِّيَارَة وَله نظم وَكَلَام حسن مَاتَ فِي ثامن الْمحرم سنة 713 بِالْمَدِينَةِ وَدفن بِالبَقِيعِ وَقَالَ الْكَمَال جَعْفَر كَانَ فَاضلا صلفاً لَهُ حَظّ من عبَادَة ونظم وَكَانَت تتبرك بِهِ وَله مدائح نبوية[1] مِنْهَا قصيدته المشهورة التالية. وقيل في ترجمته: " عبد الله بن عمران بن موسى البسكري المغربي، كان رجلا صالحا متواضعا، مقصود الزيارة. له نظم حسن. كما اشتهر بالعبادة والزهادة. توفي عام 713 هـ/ 1313 م بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع"[2].

قال في تشوقه للمدينة المنورة ووصفها[3]:

دارُ الحبيـــــــــبِ أحـــــــــقُّ أن تهواهـــــــــا
وتَحِـــــنُّ مـــــن طـــــربٍ إلـــــى ذِكراهـــــا
وعلـــــى الجفـــــونِ إذا هممـــــتَ بـــــزورَةٍ
يـــــا ابـــــن الكـــــرامِ عليـــــك أن تغشـــــاها
فلأنـــــتَ أنـــــتَ إذا حللـــــتَ بطيبـــــةٍ
وظللـــــتَ ترتـــــعُ فـــــي ظِـــــلال رُباهـــــا
مغنـــــى الجمـــــال مـــــن الخـــــواطرِ والتـــــي
ســـــلبتْ قلـــــوبَ العاشـــــقين حلاهـــــا
لا تحســـــبِ المِســـــكَ الـــــذَكيّ كتُربهـــــا
هيهـــــاتَ أيـــــن المســـــكُ مـــــن رياهـــــا
طابـــــت فـــــان تبغـــــي لطيـــــبٍ يـــــا فتـــــى
فـــــأدم علـــــى الســـــاعات لـــــثم ثراهـــــا
وابشـــــر ففـــــي الخبـــــر الصـــــحيح تقـــــررا
إن الإلـــــه بطيبـــــة ســـــماها
واختصـــــها بـــــالطيبين لطيبهـــــا
واختارهـــــا ودعـــــا إلـ ـى ســـــكناها
لا كالمدينـــــةِ منـــــزلٌ وكفـــــى بهـــــا
شَـــــرفاً حلـــــول محمـــــدٍ بفِناهـــــا
خُصـــــت بهجـــــرةِ خيـــــرِ مـــــن وطـــــئ الثـــــرى
وأجلهـــــم قـــــدراً وأعظـــــمِ جاهـــــا

---

[1] - ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط2، 1972م، ج3، ص59-60.

[2] - محمد أحمد درنيقة، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، تقديم ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، ط1، 2003م، ص207.

[3] - علي بن عبد الله السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، ج4، ص228-230.

كُـــــــل الـــــــبلادِ إذا ذَكـــــــرنَ كـــــــأحرفٍ
فـــــــي اســـــــم المدينـــــــةِ لا خَـــــــلا مَعناهـــــــا
حاشـــــــا مُســـــــمى القـــــــدسِ فهـــــــي قريبـــــــةٌ
منهـــــــا ومكـــــــة إنهـــــــا إياهـــــــا
لا فـــــــرقَ إلا أن ثَـــــــمَّ لطيفـــــــةً
مهمـــــــا بـــــــدت يجلـــــــو الظـــــــلام سَـــــــناها
جَـــــزمَ الجميـــــعُ بـــــأن خيـــــر الأراضِـــــي مـــــا
قـــــد حـــــاز ذات المصـــــطفى وحواهـــــا
ونعـــــم لقـــــد صـــــدقوا بِســـــاكِنها عَلَـــــتْ
كـــــالنفسِ حـــــينَ زَكَـــــت زكـــــا مأواهـــــا
وبهـــــذه ظهـــــرت مزيـــــةُ طيبـــــةٍ
فغـــــدت وكـــــل الفضـــــل فـــــي معناهـــــا
حتـــــى لقـــــد خُصـــــت بهجـــــرة
حِبِّهـــــاالله شـــــرفها بِـــــهِ وحَباهـــــا
مـــــا بـــــين قبـــــرٍ للنبـــــي ومنبـــــرٍ
حيـــــا الإلـــــهُ رســـــولَه وســـــقاها
هـــــذي محاسِـــــنها فهلـــــل مـــــن عاشـــــقٍ
كَلِـــــفٍ شَـــــجِيٍّ ناحـــــلٍ بنواهـــــا
إنـــــي لأرهـــــبُ مـــــن توقـــــع بينهـــــا
فيظـــــل قلبـــــي مُجعـــــاً أواهـــــا
ولقلمـــــا أبصـــــرتُ حـــــال مـــــودعٍ
إلا رثـــــت نفســـــي لَـــــهُ وشَـــــجاها
فلكـــــم أراكـــــم قـــــافلين جماعـــــةً
فـــــي إثـــــر أخـــــرى طـــــالبين سِـــــواها
قَسَـــــماً لقـــــد أكســـــى فـــــؤادي بيـــــنكم
جَزعـــــاً وفجـــــرَ مُقلتـــــي مِياهـــــا
إن كـــــان يُـــــزعجكم طِـــــلابُ فضـــــيلةٍ
فـــــالخير أجمعُـــــهُ لَـــــدى مَثواهـــــا
أو خِفتمـــــوا ضُـــــراً بِهـــــا فتـــــأملوا
بركـــــاتِ بُقعتهـــــا فمـــــا أزكاهـــــا
أَفٍ لمـــــن يبغـــــي الكثيـــــرَ لشـــــهوةٍ
ورفاهـــــةٍ لـــــم يـــــدرِ مـــــا عقباهـــــا
فـــــالعيشُ مـــــا يكفـــــي ولـــــيس الـــــذي
يُطغِـــــي النفـــــوسَ إلـــــى خَســـــيس مُناهـــــا
يـــــا رب أســـــأل مِنـــــك فضـــــلَ قناعـــــةٍ
بيســـــيرِها وتحصـــــنها بِجِماهـــــا
ورضـــــاكَ عنـ ـي دائمـ ـاً ولُزومهـــــا

حتـــــــى تُـــــــافي مُهجتـــــــي أخراهـــــــا
فأنـــــا الـــــذي أعطيـــــتُ نفســـــي سُـــــؤلها
فقبلـــــــتُ دعواهـــــا فيـــــا بُشـــــراها
بجـــــــوارِ أوفـــــى العـــــالمين بذمـــــةٍ
وأعـــــز مـــــن بـــــالقرب منـــــه يُبـــــاهى
مـــــن جـــــاء بالآيـــــات والنـــــورِ الـــــذي
داوى القلـــــوب مـــــن العَمـــــى فَشـــــفاها
أولـــــى الأنـــــامِ بخطـــــة الشـــــرفِ التـــــي
تـــــدعى الوســـــيلة خيـــــر مـــــن يُعطاهـــــا
إنســـــانُ عـــــين الكـــــونِ شـــــرفِ التـــــي
تـــــدعى الوســـــيلة خيـــــر مـــــن يُعطاهـــــا
إنســـــانُ عـــــين الكـــــونِ شـــــرفَ جـــــود
يـــــس أكســـــيرُ المحامِـــــدِ طاهـــــا
حســـــبي فلســـــتُ أفـــــي بـــــبعضِ صِـــــفاته
لـــــو أن لـــــي عـــــدد الـــــورى أفواهـــــا
كثـــــرت محاســـــنه فـــــأعجز حصـــــرها
فغـــــدت ومـــــا تلقـــــى لهـــــا أشـــــباها
إنـــــي اهتـــــديت مـــــن الكتـــــاب بايـــــةٍ
فعلمـــــت أن عُـــــلاه لـــــيس يُضـــــاهى
ورأيـ ـتُ فَضـــــلَ العـــــالمين مُحـــــدداً
وفضـــــائل المختـــــارِ لا تتنـــــاهى
كيـــــف الســـــبيلُ إلـــــى تقضـــــي مـــــدحِ
مَنْقـــــال الإلـــــهُ لـــــهُ وحســـــبُكَ جاهـــــا
إن الـــــذين يبايعونـــــك إنمـــــا
هُـــــم مَـــــنْ يُقـــــالُ يبـــــايعون الله
هـــــذا الفخـــــارُ فخـــــل ســـــمعت بمثلِـــــهِ
واهـــــاً لنشـــــأتِها الكريمـــــةِ واهـــــا
صـــــلوا عليـــــه وســـــلموا فبـــــذلكم
تُهـــــدى النفُـــــوسُ لرُشـــــدِها وغِناهـــــا
صـــــلى عليـــــه اللهُ غيـــــرُ مقيـــــد
وعليـــــه مـــــن بركاتِـــــه أنماه ـا
وعلـــــى الأكـــــابرِ الـــــهِ سُـــــرُجِ الهُـــــدى
أكـــــرِم بعترتـــــهِ ومَـــــنْ والاهـــــا
وكـــــذا الســـــلامُ عليـــــه ثَـــــم علـــــيهِم
وعلـــــى صـــــحابتهِ التـــــي زَكاهـــــا
أعنـــــي الكـــــرام أولـــــي النهـــــي أصـــــحابه
فئـــــةَ التُقـــــى ومـــــن اهتـــــدى بِهُـــــداها

والحمـــــــــــــد لله الكـــــــــــــريم وهـــــــــــــذه
نَجـــــــــــزت وظنـــــــــــي أنـــــــــــه يَرضـــــــــــاها

- **سعيد المنداسي**[1]: أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي الأصل، التلمساني دارا ومنشأ، وقد عاش في تلمسان في القرن الحادي عشر الهجري، ودرس بها العلوم التي كان يدرسها أبناء عصره وهي اللغة والنحو والصرف والبلاغة والعلوم الشرعية وعلم الكلام وغيرها. ونبغ في الشعر الفصيح والشعبي. وكانت السياسة التركية بتلمسان تقوم على الشدة والعنف، وقد شاهد المترجم مذبحة عنيفة هاجم فيها الأتراك على بعض الأعيان وقتلوهم، وهدموا ديارهم، (..) وتأثر الشاعر لهذه المذبحة (..)، وغادر تلمسان إلى المغرب على عهد عثمان باشا [1060 ه]. والتحق الشاعر ببلاط العلويين بالمغرب وقد اتصل على ما يبدو ببلاط الرشيد العلوي، وعاش تحت كنفه بسجلماسة. وبالمغرب اشتغل بتعليم ولده مولاي إسماعيل مدة، وفي أثناء ذلك تقلب الشاعر بين فاس ومراكش. وقد نال حظوة لدى السلطان مولاي إسماعيل، بعد توليه للملك سنة 1082 هـ (..). وقد ذهب الأستاذان: علوش والرجراجي إلى أنه توفي سنة 1088 هـ - 1677م. "له ديوانان: في الملحون والفصيح، ومن أشهر قصائده العقيقة.

<u>قال المنداسي في هجاء الأتراك ورثاء تلمسان</u>[2]:

أمِـــــنْ قَـــــادِرٍ بِـــــاللَّهِ يَحْمِـــــي تِلِمْســـــاَن
فَـــــإِنَّ بِهَـــــا مِـــــنْ قـــــوْمِ يَـــــأْجُوجَ إِخْوَانَـــــا
بَنَـــــى السُّـــــدَّ ذُو الْقَـــــرْنَيْنِ لِلنَّـــــاسِ رَحْمَـــــةً
فَيَـــــا لَيْتَـــــهُ مِـــــنْ شَـــــوْكةِ التُّـــــرْكِ هَنَّانَـــــا
ولَكِـــــنْ وَرَاءَ السُّـــــدِّ عَـــــمَّ فَسَـــــادُهُمْ
وهُـــــمْ أَفْسَـــــدُوا فِـــــي الْغَـــــرْبِ كُفْـــــرًا تِلِمْسَـــــانَا
سَـــــمِعْنَا حَـ ـدِيثًا صَـــــادِقُ النَّقْـــــلِ رَبُّـــــهُ
بِـــــأَنَّ لِجِـــــنْسِ التُّـــــرْكِ فِـــــي الْأَرْضِ إِخْوَانَـــــا
لَقَـــــدْ صَـــــرَفَ الـــــدَّهْرُ الْعَـــــوِيصُ لِئَامًـــــا
غِلَاظًـــــا شِـــــدَادًا فِـــــي الْمَـــــوَاطِنِ طَغْيَانَـــــا
كَعَـــــادٍ وأَهْـــــلِ الـــــرَّسِّ والْفُـــــرْسِ مَـــــا بَقَـــــوْا
وَلاَ بَقِيَـــــتْ فِـــــي الْأَرْضِ قَـــــوْمُ ابْـــــنِ كَنْعَانَـــــا
وإِخْـــــوَانُ لُـ ـوطٍ والْعَمَـــــالِقُ إِذْ عَتَـــــوْا
وتُبَّـــــعٌ والْأَحْـــــزَابُ بِيضً ـا وسُـ ـودَانَا
ومَـــــا بَـــــيْنَ ذَاكَ مِـــــنْ قُـــــرُونٍ كَثِيـــــرَةٍ
وأَوْدَى الزَّمَـــــانُ قَبْـــــلَ ذَلِـــــكَ أَدْرَانَـــــا

---

[1] - المنداسي سعيد بن عبد الله، الديوان، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1976، ص5 – 7.

[2]- الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، د ط، د ت ط، ص56.

فَمَـــــــا دَبَّ فَـــــــوْقَ الْأَرْضِ كَـــــــالتُّرْكِ مُجْـــــــرِمٌ
وَلاَ وَلَـــــــدَتْ حَـــــــوَّاءُ كَـــــــالتُّرْكِ إِنْسَـــــــانَا
وَلاَ طَـــــــارَ مِثْـــــــلَ التُّـــــــرْكِ لِلسَّـــــــمْعِ طَـــــــارِقٌ
وَلاَ وَجَـــــــدَ الشَّ □يْطَانُ كَ □الَتُّرْكِ فَتَّانَ □ا
عَتَـــــــوْا واسْـــــــتَفَزَّوْا الْمُسْـــــــلِمِينَ مِـــــــنَ الْقُـــــــرَى
وقَـــــــدْ عَبَـــــــدُوا حُمْـــــــرَ الـــــــدَّنَانِيرِ أَوْثَانَـــــــا
كَأَكْـــــــلِ الرِّبَـــــــا، مِـــــــنَ السِّـــــــفَاحِ تَنَاسَـــــــلُوا
فَـــــــلَا مَـــــــارِدٌ إِ ِلّا وَيَتْـــــــرُكُ شَـــــــيْطَانَا أ
لَـــــــمْ تَعْلَـــــــمْ أَنَّ الله بِـــــــالتُّرْكِ قَـــــــادِرٌ
وأَسْـــــــرَعُ بَطْشًـــــــا مِنْـــــــكَ لَوكُنْـــــــتَ يَقْظَانَـــــــا

ومما قاله المنداسي في رثاء تلمسان وهجاء الأتراك أيضا[1]:

وأَكْبَـــــــرُ شَـــــــيْءٍ أَفْسَـــــــدَتْهُ أَكُفُّهُـــــــمْ
تِلِمْسَـــــــانُ عَـــــــيْنُ الْغَـــــــرْبِ عِلْمًـــــــا وإِيمَانَـــــــا
وكَانَـــــــتْ لَهُـــــــمْ لَمَّـــــــا أَرَادُوا فَسَـــــــادًا
أَرَاذِلُ مِنْهَـــــــا كَالْبَطَـــــــارِقِ أَعْوِانَـــــــا
فَمِـــــــنْهُمْ قَـــــــرِينُ السُّـــــــوءِ مُفْتِـــــــي بِلَادِهِـــــــمْ
تَـــــــوَدُّ الْعِبَـــــــادُ التُّـــــــرْكُ كَـــــــانُوا وَلاَ كَانَـــــــا
فَقُـــــــل لِابْـــــــنِ زَاغُـــــــو لِلضَّـــــــلَالِ أَيِمَّـــــــةٌ
تَـــــــدَبَّرْ لَحَـــــــاكَ الله مَـــــــا قَـــــــالَ مَوَلاَنَـــــــا
وَلاَ تَرْكَنُـــــــوا والـــــــرُّكْنُ مِنْـــــــكَ سَـــــــجِيَّةٌ
كَأَنَّـــــــكَ لَـــــــمْ تَسْـــــــمَعْ مِـــــــنَ الله قُرْآنَـــــــا
فَـــــــإِنَّ أَمِيـــــــرَ التُّـــــــرْكِ فِرْعَـــــــوْنُ قَـــــــائِمٌ
وأَنْـــــــتَ جَلِـــــــيسُ السُّـــــــوءِ فِـــــــي زَيِّ هَامَانَـــــــا
أَتَهْـــــــدِمُ دَارَ الْعِلْـــــــمِ فِـــــــي حَانِـــــــكَ الَّـــــــذِي
تَبِيـــــــتُ وتُضْـــــــحِي فِيـــــــهِ وَيْحَـــــــكَ سَـــــــكْرَانَا
لَـــــــئِنْ فَعَلَـــــــتْ بِالْحَـــــــانِ مِثْلَـــــــكَ سُـــــــوَقَةٌ
فقَـــــــدْ هَـــــــدَّ مِنْـــــــكَ الظُّلْـــــــمُ لِلنَّـــــــاسِ أَرْكَانَـــــــا
لَقَـــــــدْ كُنْـــــــتَ حَبْـــــــرًا بِالْمَدِينَـــــــةِ صَـــــــالِحًا
فَصِـــــــرْتَ بِهَـــــــا أَخَـــــــا الْقَـــــــرَامِطِ حَمْـــــــدَانَا
قَتَلْـــــــتَ فُحُـــــــولَ الْعِلْـــــــمِ صَـــــــبْرًا ولَـــــــمْ تَـــــــزَلْ
عَلَـــــــى عَهْـــــــدِكَ الْمَعْلُـــــــومِ فِـــــــي الزَّيْـــــــغِ هَيْمَانَـــــــا
فَأَيَّمْـــــــتَ بِـ □الْفَتْوَى نِسَـــــــاءً كَرِيمَـــــــةً
وأَيْتَمْـــــــتَ بِـــــــالْقَوْلِ الْمُمَلَـــــــكَ ولْـــــــدَانَا
وشَـــــــيَّدْتَ لِلْإِسْـــــــلَامِ رُكْنًـــــــا مِـــــــنَ الْأَذَى

[1]- المنداسي سعيد بن عبد الله، الديوان، ص87 – 91.

فَـــــلَا تَمَـــــرَ الـــــرَّحْمَنُ مِـــــنْ ذَاكَ بُنْيَانَـــــا
فَمَـــــا الله عَـــــنْ سَـــــفْكِ الـــــدِّمَاءِ بِغَافِـــــلٍ
وَلا يَتْـــــرُكُ الـــــرَّحْمَنُ حَاشَـــــاهُ لُعْبَانَـــــا
وأشْـــــبِيَةُ التَّوْحِيدِ كَيْـــــفَ تَخَضَّـــــبَت
بِأَسْـــــمَرَ كَالْبِلْسْـــــامِ ظَلْمًـــــا وعُـــــدْوَانَا
ورَأَسًـــــا بِأَيْـــــدِي الْجُنْـــــدِ كَـــــمْ بَـــــاتَ سَـــــاجِدًا
وكَـــــمْ ظَـــــلَّ فِـــــي الْكُبـــــرَى يَرْكَـــــبُ بُرْهَانَـــــا
وعَبْـــــدُ الْعَزِيـــــزِ فِـــــي الْقُيُـــــودِ كَأَنَّـــــهُ
إِلَـــــى النَّحْـــــرِ يَرْفَـــــعُ الطّـــــرْفَ حَيْرَانَـــــا
ومَـــــنْ مَعَـــــهُ فِـــــي رِبْقَـــــةِ الْأَسْـــــرِ لَـــــمْ يَـــــرَوْا
حَمِيـــــدًا سِـــــوَى رَمْضَـــــانَ
ثَـــــمَّ وشَـــــعْبَانَا فَمَـــــا قَـــــامَ شَـــــعْبَانُ لَيْلَـــــةَ
ولا صَـــــامَ فِـــــي الْإِسْـــــلَامِ رَمْضَـــــانُ رَمْضَـــــانَا
عَلَـــــى نَهْـــــبِ أَمْـــــوَالِ الْيَتَـــــامَى تَظَـــــاهَرُوا
وكَانَـــــتْ لَهُـــــمْ أَعْلَـــــى الْمَدِينَـــــةَ أَذَانَـــــا
فَجَـــــرَّدَ مُفْتِـــــي الْجُـــــورِ ثَـــــمَّ حُسَـــــامَهُ
وصَـــــحَّحَ مِـــــنْ نَـــــذْلِ الضَّـــــلَالَةِ بُطْلَانَـــــا
وقَـــــالَ اقْتُلُـــــوا فَالْقَتْـــــلُ يَـــــرْدَعُ غَيْـــــرَهُمْ
وَلاَ رَقَّ ذَاكَ الْقَلْـــــبُ مِنْـــــهُ وَلاَ لَانَـــــا
إِذَا كَـــــانَ مُفْتِـــــي السُّـــــوءِ يَقْضِـــــي بِرَأْيِـــــهِ
هُنَـــــاكَ يَكُـــــونُ الـــــزَّرْعُ فِـــــي الأَرْضِ خُسْـــــرَانَا
فَأَنْـــــتَ لِسَـــــانُ التُّـــــرْكِ والسَّـــــيْفُ لَافِـــــظٌ
تُسِـــــرُّ ويُمْضِـــــي السَّـــــيْفُ قَوْلَـــــكَ إِعْلَانَـــــا
تَعَـــــالَوْا تَـــــرَوْا ضَـــــلِيلاً فِـــــي زَيِّ نَاسِـــــكٍ
يَطُـــــولُ مِـــــنْ ثَـــــوْبِ الْبَطَالَـــــةِ أَرْدَانَـــــا
وَقَـــــدْ قُـــــدَّ ذَاكَ الثَّـــــوْبُ مِـــــنْ كُـــــلِّ مَوْضِـــــعِ
ومَـــــرَّ بِأَبْصَـــــارِ الْخَلَائِـــــقِ عُرْيَانَـــــا
إِذَا شِـــــيمَ مِنْـــــهُ الْخَيْـــــرُ فَـــــالْبَرْقُ كَـــــاذِبٌ
وإِنْ صَـــــالَ مِنْـــــهُ الرَّعْـــــدُ يُهْلِـــــكْ بُلْـــــدَانَا
أَيَـــــا آلَ دِيـــــنِ اللهِ مَـــــالِي أَرَاكُـــــمُ
نِيَامًـــــا وكَـــــانَ الطّـــــرْفُ مِـــــنْ قَبْـــــلُ يَقْظَانَـــــا
فَـــــدَارُكُمُ الزَّهْـــــرَاءُ بِالنَّـــــارِ أَحْرِقَـــــتْ
وبَـــــانَ جَمِيـــــلُ الصَّـــــبْرِ لِلزَّيْـــــغِ إِذْ بَانَـــــا
أَمَـــــا تَـــــذْكُرُونَ الْأَهْـــــلَ وَالـــــزَّمَنَ الَّـــــذِي
عَهِـــــدْتُمْ فَـــــذَاكَ الْوَصْـــــلُ قَـــــدْ صَـــــارَ هُجْرَانَـــــا
وَهَـــــلَّا سَـــــأَلْتُمْ عَـــــنْ يَتَـــــامَى تَفَرَّقَـــــتْ
أَيَـــــادِي سَـــــبَا أَنْثَـــــى وذَكْرَانَـــــا

فَهَـــــبْ أَنَّهُـــــمْ لِلْجُـــــورِ ضَـــــلّتْ عُقُـــــولُهُمْ
فَـــــلَا يَتْـــــرُكُ الْجِيـــــرَانُ فِـــــي الْعُسْـــــرِ جِيرَانَـــــا
فَقُـــــلْ لِابْـــــنِ زَاغُـــــو رَأسِ كُـــــلِّ خَطِيئَـــــةٍ
فَـــــلَا تَحْسِـــــبِ الْفَتْـــــكَ بِالْأَهْـــــلِ سُـــــلْوَانَا
وَلَكِنَّـــــكَ الـــــدَّجَّالُ لِلنَّـــــاسِ فِتْنَـــــةً
تَأَهَّـــــبْ لِـــــرَوْحِ اللهِ فَـــــالْحَيْنُ قَـــــدْ حَانَـــــا
فَـــــإِنْ أَضْـــــحَكَتْكَ الْجُنْـــــدُ بِالنَّـــــاسِ سَـــــاعَةً
فَـــــلَا تَغْتَـــــرِرْ فَـــــالله يَكْفِيـــــكَ أَزْمَانَـــــا

• **عبد الكريم الفكون القسنطيني: "**عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون (1073/988هـ - 1662/1580م) أديب نحوي، محدث، جمع بين علمي الظاهر والباطن، كان عالم المغرب الأوسط في عصره، من أهل قسنطينة. كان يلي إمارة ركب الجزائر في الحج. قال العياشي في رحلته: كان في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق، ومجانبة علوم أهل الرسوم بعدما كان إماما يقتدى به فيها، وله غي كثير منها تآليف شهد له فيها بالتقدم أهل عصره، فألقي في قلبه ترك ذلك والعكوف على حضرته بالقلب والقالب والتزود إلى الحرمين الشريفين مع كبر السن، وكان يقول إذا ذكر له شيء من هذه العلوم: قرظاتها لله وتركتها لله. توفي بقسنطينة بالطاعون. له: (..) ومنشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية.."[1] وهو أهم مؤلفاته وأجلها.

قال عبد الكريم الفكون في هجاء أعيان قسنطينة[2]

أَلاَ فَاحْـــذَرْ أَنَاسًـــا قَـــدْ تَبَـــرَّأَ إِلَـــهُ الْعَـــرْشِ مِـــنْهُمْ وَالْمَلاَئِـــك
وَأَبْعَـــدَهُمْ مِـــنَ الْخَيْـــرَاتِ كُـــلاّ وَأَصْـــلاَهُمْ جَحِيمًـــا ذَاتَ حَالِـــك
هُـــمُ الْقَـــوْمُ الأَرَاذِلُ قَـــدْ تَسَـــمَّوْا بِجِـــنْسٍ فِـــي الْخَلِيقَـــةِ لاَ يُشَـــارِك
وَقَـــالُوا نَحْـــنُ أَحْضَـــارٌ بِـــدَارٍ نَعَـــمْ صَـــدَقُوا وَلَكِـــنْ فِـــي الْمَهَالِـــك
وَوُجُـــوهُهُمْ إِذَا مَـــا قَـــدْ تَبَـــدَّتْ فَمَـــا مِنْهَـــا إِلَيْـــكَ تَـــرَاهُ ضَـــاحِك
وَقَلْبًـــا مِـــنْهُمْ لاَ تَرْضَـــى مِنْـــهُ بِمَـــا يُعْطِـــي اللِّسَـــانُ مِـــنَ الْمَنَاسِـــك
لَقَـــدْ جُبِلُـــوا عَلَـــى غِـــشِّ الْبَرَايَـــا كَمَـــا جُبِلَـــتْ يَهُـــودُ عَلَـــى الأَفَائِـــك/
وَسِـــيمَاهُمْ فُجُـــورٌ لَـــيْسَ يَبْـــدُو مَـــدَى الأَزْمَـــانِ إِلاَّ مِـــنْ أُولَئِـــك
فَـــإِنْ لَـــمْ تَـــأْلُ جُهْـــدَكَ فِـــي وِدَادِهِـــمْ فَـــلاَ يَـــأْلُوا بِجُهْـــدٍ فِـــي عِتَابِـــك
وَإِن رَاعَيْـــتَ حَـــالَهُمْ بِخَيْـــرٍ فَشَـــرُّ الشَّـــرِّ قَـــدْ رَاعَـــوْا لِحَالِـــك
فَجَـــدُّهُمْ خَـــؤُونٌ لِـــذَاكَ يُنْمِـــي وَأَيْـــدِيهِمْ تَـــرَدَّدُ فِـــي خِوَانِ ـــك
طَرِيـــقَ الشَّـــرِّ قَـــدْ نَبَـــذُوا وَرَامُـــوا أُمُـــورًا قَـــدْ تَبَـــدَّتْ مِـــنْ هُنَالِـــك
كَمَـــا لاَ تَسْـــمَعُ الأَذْنَـــانِ عَـــنْهُمْ سِـــوَى فُحْـــشٍ فَتِيًّـــا لِلْفَوَاتِـــك

[1]- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر- من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر-، ص254.

[2]- أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص222- 224.

لَقَـــدْ فَتَكُـــوا بَـــدِينِهِمْ وَمَـــدُّوا أَكُفّـــا لِلنَّـــوَالِ رِضَـــا بِـــذَلِك
لَعَمْـــرِي فَالْوَبَـــالُ لَهُـــمْ تَصَـــدَّى وَبَـــالُ اللهِ لاَ تَرْضَـــى بِهَالِـــك

ثم قال محذرا منهم من يجهلهم:

لِنَفْسِـــكَ صَـــاحِبْ مِـــنْهُمْ وَجَانِـــبْ شِـــرَارًا وَأَصْـــرِمَنَّهُمْ مِـــنْ حِبَالِـــك
وَعَاشِـــرْ مَـــا بَقِيـــتَ بِحُسْـــنِ صُـــنْعِ وَمَـــا شَـــنَؤُوا كُـــلاَّ تُلْقِـــي بِبَالِـــك
وَاخْسَـــرْ فِـــي فِـــرَاقِهِمْ نَفِيسًـــا وَاشْـــكُ اللهَ غَوْثًـــا مِـــنْ مَـــدَابِك /
وَكَلْكَـــلاً لأُمُـــورٍ إِلَيـــهِ مِـــنْهُمْ وَعِنْـــدَ اللهِ تُلْفِـــي فِـــي ثَوَابِـــك

ثم دعا عليهم دعاء مظلوم:

وَقُـــلْ رَبِّـــي عَلَيْـــكَ بِهِـــمْ وَخُـــذْهُمْ وَمَثِّـــوَاهُمْ يَكُـــونُ بِـــدَارِ مَالِـــك
وَدَارَهُـــمْ إِلَهِـــي فَـــازْوِ عَنْهَـــا صَـــلاَحًا وَأَغْمِسَـــنَّهُمْ فِـــي بَلاَئِـــك
وَخُـــذْ مِمَّـــنْ أَذَى وَتَعَـــدَّى حَقّـــا وَأَحْلِـــلْ فِيـــهِ بَلْـــوَى مِـــنْ سَـــمَائِك
وَمِـــنْ كُـــلِّ الْمَكَـــارِهِ لاَ تُصَـــنْهُ وَفِـــي الْعُقْبَـــى أَذِقْـــهُ مِـــنْ وَبَالِـــك
وَيـــا قَهَّـــارُ فَـــاقْهَرْ مِنْـــهُ كَيْـــدًا أَخِبْتَـــهُ الضُّـــلُوعُ، وَلاَ تُبَـــارِك
لَـــهُ عُمْـــرًا، وَسُـــؤْلِي لاَ تُخَيِّـــبْ بِمَـــا لَـــكَ مِـــنْ نَبِـــيٍّ أَوْ مَلاَئِـــك
وَكُـــلِّ الأَنْبِيَـــاءِ وَمَـــا تَلَقَّـــى سَـــفِيرُ الرُّسْـــلِ طُـــرًّا مِـــنْ كَلاَمِـــك

- **عبد الرحمن الأخضري**[1]: (920-954هـ =1512-1545م) الشيخ عبد الرحمن الأخضري، بن محمد الصغير، بن محمد، بن عامر، الأخضري البنطيوسي، البسكري، الجزائري المالكي، الأشعري، الجنيدي، كان عالماً عاملاً، وتقياً ورعاً، وعابداً متبتلاً، متين التدين، زاهداً عن الدنيا، تام العقل مهاب الهيئة، حسن العشرة، قنوعٌ باليسير لا يخاف في الله لومة لائم وقد أعرض عن الفتيا حين اختلاف الكلمة، قضى معظم حياته في خدمة العلم وأهله، لقب بفارس المعقول والمنقول، وهو من أبرز علماء الجزائر في القرن العاشر الهجري، لقد أطبقت شهرته الآفاق وغدت تأليفه تدرس في شتى حواضر العلم والمعرفة، من بغداد، إلى الأزهر بالقاهرة، إلى الزيتونة بتونس، الى جامع القرويين بفاس، الى المدينة المنورة ..، آخر محطاته كانت منطقة قجال، تفرغ للتدريس بجامعها العتيق، الكائن في منطقة جال التابعة لولاية سطيف الجزائرية، والتي تقع جنوب شرق مدينة سطيف، كانت له خلوة يتعبد بها في مقبرة جال قرب ضريح، الشريف مسعود الـ جالي الحسني، توفي في منطقة جال ونقل جثمانه الطاهر الى منطقة بنطيوس الموجودة بولاية بسكرة والتي تقع جنوب شرق الجزائر، ودفن بها، له مؤلفات عديدة والكثير منها مخطوط لم يطبع بعد.

ولد الشيخ عبد الرحمن الأخضري ﷺ سنة (920 هـ/ 1512 م) ببلدة بنطيوس التي تبعد عن بسكرة بحوالي (30 كم) في عائلة مؤمنة، ملتزمة، عرفت بالعلم والورع والتقوى، والده العالم المدرس محمد الصغير وأخوه الأكبر أحمد الأخضري، كان عالما ومدرسا أيضا، أخذ عن كليهما الفقه، وعلوم اللغة العربية، وعلم المواريث، بعد أن حفظ القرآن العظيم، وأتقن رسمه وتلاوته، انتقل الى منطقة قسنطينة فواصل دراسته هناك، بعدها هاجر الى تونس فدرس بـ فصة ثم جامع الزيتونة بتونس العاصمة.

---

[1] - بوزياني الدراجي، عبد الرحمن الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، Bled edition ، صدر بدعم من وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص10-49. وينظر: موقع ويكيبيديا. https://ar.wikipedia.org/ ، مادة: (عبد الرحمن الأخضري).

بدأ التعلم بمسقط رأسه بنطيوس فتعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن العظيم، وأتقن رسمه وتلاوته، وأخذ عن والده الشيخ محمد الصغير (رضي الله عنه) وعن أخيه الشيخ أحمد الأخضري (رحمه الله) علم الفقه، وعلوم اللغة العربية، وعلم المواريث، انتقل الى منطقة قسنطينة فواصل دراسته هناك، بعدها هاجر الى تونس فدرس بڤفصة، ثم جامع الزيتونة بتونس العاصمة، تعلم على أبي يحيى بن عقبة، وعلى أبي عبد الله القلجاني، ثم عن ولده عمر القلجاني وكذلك عن قاسم العقباني ...أكمل دارسته في علوم اللغة العربية كما درس علم المنطق ودرس الفقه واصوله والكلام والحديث والتفسير ودرس علم الحساب، تفوق في دراسته وحصل على اجازات في التدريس والفتيا.

رجع الى وطنه الجزائر وشرع في التدريس، فزكاة العلم نشره، آخر محطاته كانت ڤجال، حيث حط الرحال بها ومكث بجامعها العتيق، الذي يعرف اليوم بزاوية ڤجال أو زاوية بن حمادوش، درس هناك الى أن وافته المنية. إن تردد الشيخ عبد الرحمن الأخضري (رحمه الله) على زاوية قجال، لم يكن، لولا هذه العلاقة الروحية والعلمية التي كانت تربطه بالمكان وأهله، مما يؤكد على المكانة الكبيرة التي كانت تحظى بها هذه القرية الصغيرة، بحجمها الكبير، بقداستها الروحية والعلمية، عند العلماء، وسائر من تعلم فيها، أو زارها، أو عرف أهلها، وفي الأمثال العامية التي كثيرا ما تتردد على ألسنة أهل قجال ما يؤكد ذلك، يقول المثل : "قجال ما يخلى والعلم ما يخطيه " ويعكس بعض جهلة زماننا المثل فيقولون : "قجال ما يعمر والذل ما يخطيه "

نُقِل عن شيوخ زاوية قجال وعلمائها، ومنهم الشيخ القريشي مدني (رحمه الله)، كذلك نقل عن الشيخ الزبير بن حمادوش (حفظه الله) وهو من كبار شيوخ الطريقة الرحمانية في منطقة سطيف : أن الشيخ عبد الرحمن الأخضري (رضي الله عنه)، كان عالما عاملا، وتقيا ورعا وعابدا صوفيا، يقضي نهاره في التدريس، فإذا ما أقبل الليل أوى إلى " خلوته " التي تقع بالقرب من مقام سيدي مسعود الإدريسي الحسني القجالي (رضي الله عنه)، يتعبد، ويتحنث، ويصلي أغلب الليل، وقبل الفجر يعود إلى المسجد، ليستأنف نشاطه اليومي في التدريس أو التأليف، وقد تناقل طلبة جامع قجال، خلفهم عن سالفهم أبياتا شعرية قيل أنها وجدت مكتوبة في كفن الشيخ عبد الرحمن الأخضري (قدس الله سره)، وهي كما يلي منقولة عن الأستاذ عبد المجيد حمادوش كان قد سجلها له الشيخ القريشي مدني بخطه في كناشة خاصة.

ألف الشيخ العلامة (الأخضري) في شتى المعارف العقلية منها والنقلية، فقد ترك أثراً في علوم الشريعة، والحقيقة، والرياضيات، والفلك، وعلم المنطق، وعلوم اللغة العربية .... ومن أشهر مؤلفاته: - السلم في المنطق، الذي ترجمه المستشرق الفرنسي لوسيان، سنة 1921 ميلادي وقد عده من أعظم الكتب العالمية. ومن مؤلفاته: مختصر الأخضري في العبادات، على مذهب الإمام مالك، نظم الجواهر المكنون في ثلاثة فنون :في علم البلاغة والبيان و البديع، حلية اللب المصون على الجواهر المكنون، منظومة الدرة البيضاء في الفرائض والحساب، أرجوزة. الدرة البيضاء في أحسن، نظم السلم المرونق في المنطق، شرح السلم المرونق المذكور، نظم السراج في علم الفلك، نظم منثور ابن آجروم الدرر البهية على نظم الاجرومية، نظم أزهر المطالب في هيئة الافلاك و الكواكب في علم الاسطرلاب، قصيدة مدح النبي خالد بن سنان، شعر القدسية واللامية في التصوف، قصيدة نصيحة الشبان.

توفي الشيخ عبد الرحمن الأخضري بقرية قجال وقد اختُلِف في تاريخ وفاته فمن قائل أنه توفي في(954هجري/1545 ميلادي) ومن قائل أنه توفي في (983هجري/1575ميلادي) فعلى الرأي الأول يكون قد عاش ثلاثا وثلاثين سنة وهو المرجح عند أغلب المراجع التي ترجمت للشيخ الأخضري (رحمه الله) وما زال أهل قجال إلى اليوم يتناقلون كرامة من كرامات الشيخ عبد الرحمن الأخضري ظهرت عند تشييع جثمانه من قبل طلبته الذين حملوا جثمان شيخهم على أكتافهم وتوجهوا به إلى موطنه ومسقط رأسه بالقرب من بسكرة لدفنه هناك تنفيذا لوصيته , فعند وصولهم إلى الحامة بوطالب أصابهم إعياء شديد فطلب بعضهم بدفنه حيث وصل بهم المسير والرجوع إلى قجال فرفض الطلبة الذين كانوا يتميزون بتعلقهم الشديد بشيخهم وإصرارهم على تنفيذ وصيته فقرروا مواصلة الرحلة إلى نهايتها، فما الذي حدث بعد ذلك؟ تقول الرواية: أما الفريق الأول من الطلبة فقفلوا راجعين إلى قجال، وأما الفريق الثاني فحملوا الجثمان الطاهر وساروا به فطوى الله تبارك وتعالى، لهم الأرض طيا، حيث تمكنوا من تنفيذ وصية شيخهم ودفنه في بنطيوس والرجوع إلى قجال؛ فكان وصولهم قبل وصول الفريق الأول.

أوصيكُم معاشرَ الشُبان ... عليكم بطاعة الرحمن
إياكم أن تُهمِلوا أوقاتَكم ... فتَندمُوا يومًا على ما فاتَكُم
إنما غانمة الإنسان ... شبابه والخسر في التوان
و ما أحسن الطاعة للشُبان ... فاسعو بذكرِ الله ياخوان
و عمِّروا أوقاتَكم بالطاعة ... و الذَكر كلَّ لحظةٍ و ساعة
ومن تَفتُه لحظةٌ في عمرهِ ... تكونُ عليه حسرةً في قبرِهِ
من يكن فرط في شبابه ... حتى مضى عجبت من تبابه
ويا سعادة امرئ قضاه ... في عمل يرضى به مولاه
أحب ربي طاعة الشباب ... يا فوزهم بجنة الرضوان
فتب إلى مولاك يا إنسان ... من قبل أن يفوتك الأوان
ومن يقل إني صغير أصبر ... ثم أطيع الله حين أكبر
فإن ذاك غره إبليس ... وقلبه مغلق مطموس
لا خير فيمن لم يتب صغيرا ... ولم يكن بعيبه بصيرا
لما رأى خيفة الصديق قال له ... الله معنا فلا تخشى من الضرر

خامسا؛ الأدب الجزائري خلال العهد العثماني خصائصه تطوره وأثره:

- ✓ تحرر التعليم من سيطرة الدولة وسيطرة الحكام العثمانيين، وكان يُموَّل من الأوقاف فقط.
- ✓ ظهرت مجموعة من الشعراء طرقوا جلّ الأغراض الشعرية.
- ✓ شكل شعر المديح النبوي غرضا مستقلا، وشاع في هذا العصر، ونظم فيه الشعراء بالفصيح وبالملحون.
- ✓ قلما نجد مدحا سياسيا موجها للحكام، اللهم إلا للباي محمد الكبير، ومحمد بكداش صاحبي الفتح الثاني والأول لوهران.
- ✓ اشتهر رثاء المدن مثل وهران والجزائر وتلمسان، وكذلك رثاء شيوخ العلم.

- ✓ وكان شعر الغزل خلال الفترة العثمانية نادرا، ومرد ذلك للبيئة التي سادت في تلك الفترة، والتي ميزها المجتمع المحافظ البعيد عن اللهو والمجون؛ الأمر الذي أدى بالشعراء إلى الامتناع عن نظم شعر الغزل إلا النادر منه.
- ✓ أما الهجاء فتوجه به الشعراء نحو الحاكم سواء أكان عثمانيا، أم جزائريّ الأصل.
- ✓ ونشط الزهد وتناول التنبيه عن التعلق المفرط بالحياة الدنيا وتنبيه الغافلين بالموت، وضرورة الابتعاد عن النفس الأمارة بالسوء والابتعاد عن طريق الشيطان.
- ✓ وتضمن شعر الوصف المسجد والمدرسة والبيوت والفنادق والطبيعة والنفس البشرية.
- ✓ ولم يخرج الشاعر الجزائري عن النموذج العروضي العربي التقليدي؛ إذ نجد الشعراء الجزائريين ألبسوا شعرهم البحور الطويلة واختاروا من القوافي ما هو شائع في الشعر العربي فغلب على قوافيهم القافية المطلقة، كما نوعوا فيها؛ بالإضافة إلى استعمال أكثر حروف الروي شيوعا في القصيدة العربية.
- ✓ أما النثر فشمل المقامات والرسائل الديوانية والإخوانية، والوصف، والتقاريظ، والتعازي، وعقود الزواج التي تفنن فيها أصحابها، والإجازات المنمقة، والشروح الأدبية، والقصص، والخطب. وقد كان الأدب الجزائري في العهد العثماني غنيا ببعض هذه الفنون كالرسائل والتقارض، ولكنه كان فقيرا في بعضها كالخطب والقصص[1].
- ✓ كان حكم الأتراك في الجزائر حكما مميزا من بداياته إلى نهاياته؛ من حيث دوافعه، ومن حيث ممارساته، - وإن أصابه بعض الخلل في فترات ما-. فـ"لم يكن الأتراك مستعمرين، لأنهم لم يملكوا أرضا، ولا أبعدوا مزارعا عن مزرعته، ولم يكونوا محتلين، لأن جيشهم لم يكن ذا عدد يمكنهم أصلا من احتلال جزء من البلاد (..) وكانت السلطة كلها، تحت إدارة الباشا والبايات، بيد شيوخ البلاد الجزائريين، شرقا وغربا، سهلا وجبلا"[2].
- ✓ لم يكن العهد العثماني في الجزائر سوى بيئة زمكانية ملتهبة؛ صراعات ضد النصارى الإسبان وحلفائهم، مع ظروف اجتماعية متدهورة، ولذلك ظهر السلاطين العثمانيون المجاهدون والمحررون للبلدات الجزائرية، ظهروا كأنهم أبطال أسطوريون.
- ✓ انتشر الشعر التعليمي في علم الفقه واللغة والفلك والمنطق والتصوف والأخلاق انتشارا كبيرا، في بلاد المغرب عامة أكثر من المشارقة.
- ✓ ولقي الشعر الصوفي رواجا كبيرا وكان ينظم بالفصيح وبالملحون، وقد انغمس أكثر الناس فيه هروبا من الأوضاع المزرية، وللقيمة العالية التي وضعتها السلطة العثمانية في الولي والمرابط.

---

[1] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص171.

[2]- أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1980م، ص8.